العرب
الجمعة 2020/07/24
السنة 43 العدد 11771

فيلم «رأس السنة» يفشل في جذب جمهور السينما بمصر

قصة ثرية عن الصراع الاجتماعي تضل طريقها بسبب قواعد اليوم الواحد

مجتمع يعيش على الغواية

الإيرادات الهزيلة التي حقّقها فيلم "رأس السنة" في شباك تذاكر دور السينما المصرية بعد استئنافها العمل، أتى أمرا متوقعا، فالفيلم لا يمثل سوى فكرة طرأت في رأس مؤلفه المنتج محمد حفظي، فحوّلها على عجل إلى عمل فني، دون أي حبكة قوية، والسيناريو مليء بالأحداث غير المكتملة حتى بين الشخصيات المحورية الأساسية.

محمد عبدالهادي
كاتب مصري

لم يحقّق فيلم "رأس السنة" في أول أيام إعادة عرضه بدور العرض السينمائي بعد عودتها للعمل مؤخرا سوى 10 دولارات فقط، رغم ضمه مجموعة كبيرة من الفنانين مثل إياد نصار وبسمة وإنجي المقدم وشيرين رضا، وتقديمه تحت شعار ينجح كثيرا في مداعبة خيالات الجمهور الشاب بقصر الحضور على الكبار فقط.

وعادت دور العرض السينمائية في مصر للعمل بعد توقف استمر لنحو أربعة أشهر بجمهور لا يزيد عن 25 في المئة من طاقتها كإجراء احترازي لمنع تفشي فايروس كورونا، وأعيد طرح سبعة أعمال تذيلها في قائمة الحضور والإيردات "رأس السنة" ليدفع العمل ثمن التعليقات السلبية للجمهور الذي حضر عروضه قبل فترات التوقف الذي لم يجد فيه ما يلبي طموحه على المستوى الفني.

وتنطلق الأحداث من ليلة رأس السنة لعام 2009 لسبب غير واضح، لكن ربما يمكن ربطها بالفترة اللاحقة للأزمة المالية العالمية التي ضربت إيرادات السياحة عالميا في مقتل، ومعها المنتجعات المصرية التي كانت تستعد حينها لاستقبال 12 مليون سائح، غالبيتهم من منخفضي الانفاق الذين لا تتجاوز تكلفة الإقامة الكاملة للواحد منهم أسبوعا كاملا 200 دولار.

ويقدّم العمل رصدا لفئة من مجتمع الأغنياء في مصر بطقوسه الغريبة ونمط حياته الغربي الصرف، بتتبّع قصص مجموعة من شباب الجامعة الأميركية ينظمون حفلا في إحدى القرى السياحية بمنتجع الجونة على البحر الأحمر، والمشكلات التي يعانون منها على المستوى الذاتي والأسري، مقارنة بأوضاع أبناء الطبقة المتوسطة والفقيرة الذين يعكفون على خدمتهم وربما إرضاء نزواتهم.

وتفرط القصة كثيرا في الرصد الخارجي غير المعمق لمظاهر الترف التي تعيشها طبقة الأغنياء بنمط ملابسهم وسياراتهم المليونية وهواتفهم التي يلقونها في المياه رغم سعرها الباهظ والعناية بحيواناتهم ومعاملاتها كأحد أفراد الأسرة، ووضعها في مواجهة أنماط من الشباب الفقير الذي يتذلّل للحصول على فرصة عمل من أجل شراء ملابس جديدة لأبنائهم ومكابدتهم مشاق توفير لقمة العيش لأبنائهم بأجر يومي لا يتجاوز أحيانا عتبة التسعة دولارات.

ويبدأ التشابك الحقيقي للأحداث منذ لحظة استقلال شريف (الفنان أحمد مالك) المترف سيارة إسعاف يقودها كمال (الفنان الأردني إياد نصار) موزّع نبتة الحشيش (ديلر) في آخر أيام السنة لحين إيفاء أصدقائه بباقي ثمن الشحنات التي قام بتسليمها لهم، ويضطر للمضي معه في رحلة مكوكية على الفنادق والبيوت الفاخرة، يفقد فيها الشاب الصغير الكثير من احترامه لشبكة معارفه الذي لم يتخيل يوما أنهم يتعاطون، خاصة شقيقته الكبرى رانيا (الفنانة بسمة) التي يكن لها كامل التقدير.

انفصام مجتمعي

تحمل الفحوى الرئيسية للعمل حالة انفصام يعاني منها المجتمع الشرقي، خاصة فكرة الانغماس في الحرام سرا وادعاء الشرف علنا، ولم تفرّق تلك الازدواجية بين الشاب الذي يقدّم فحولته الجنسية لراغبات المتعة بين الأجنبيات دون المصريات ويرفض عمل شقيقته ليلا حفاظا على شرفها، أو هجوم شريف (أحمد مالك) على شقيقته بعدما ضبطها تشتري المخدرات، وهو في حالة نشوة من التعاطي وترديده عبارة "فضحت العائلة"، أو حتى رفض مستضيف حفلة رأس السنة تعاطي الحضور سجائر محشوّة بالمخدر في منزله، رغم استضافة المكان لموبقات أخرى كتناول الخمور والهيروين.

وفتح العمل العديد من الخيوط الدرامية التي لم ينهها أو يتعمّق في رصد أسباب تحوّلاتها في حرص شديد على تطبيق مفهوم أفلام "اليوم الواحد" التي لا تتضمن في الغالب بداية ووسطا ونهاية، وتركز على أنماط من الشخصيات وعلاقاتها معا، فلكل شاب يحضر الحفل وكل خادم لهم قصة أو عقدة لم يتم حلها أو توضيح لسبب نشأتها في الأساس، ما بين شاب يهمله والده ويتفرّغ للزواج ببنات صغيرات السن أو آخر لا يهتم سوى بعمله ويترك نجله يستقبل ثلاث فتيات في منزله بمنتهى البساطة، أو زوجة تشعر بالحرمان العاطفي، أو أخرى لا تتواكب مع تغيرات مستجدة لشخصية زوجها وميله نحو التديّن.

وحتى الشخصية المحورية في العمل الممثلة في "كمال" تمر القصة عليها مرور الكرام رغم ثرائها بتفاصيل تكفي لوحدها لعمل كامل لشاب ورث مستشفى من والده بحي راق، وتحوّل في النهاية إلى "ديلر" لتوزيع المخدرات يمارس نشاطه من سيارات إسعاف ويحمل ضغينة تجاه الأغنياء في مفارقة تفتح باب التساؤلات حول علاقته بوالده الذي قال إنه لم يترك له سوى المستشفى، وهو إرث كفيل بتأمين حياة مترفة لشاب طوال حياته، أو تأكيده على أنه ذاق طعم "الكافيار" ولن يرضى بالبطارخ (بيض الأسماك الشعبية المملحة).

ويؤكّد السيناريو تعجّل محمد حفظي، الذي يمثل واحدا من أهم منتجي السينما المستقلة في مصر ويملك خبرة في الكتابة السينمائية، فلم يستثمر نقاط الذروة في عمله جيدا خاصة لحظات انكشاف الشخصيات أمام ذاتها، أو سقوط ادعاءات الفضيلة من على أجسادها، وهي مشكلة تطارد حفظي في الكثير من أعماله الأخيرة كان أكثرها قوة على مستوى الحبكة عملي "التوربيني" لأحمد رزق و"أسوار القمر" لمنى زكي وكلاهما مقتبس من السينما الأميركية، الأول مستوحى من "رجل المطر" لتوم كروز وداستن هوفمان، والثاني من "قبل أن أذهب للنوم" لنيكول كيدمان.

ويحاول حفظي توصيل رسالة تقضي بعدم الحكم على الإنسان من ملابسه أو طريقة تعامله، وأفخاخ التعميم التي يعاني منها المصريون كاعتقاد الفقراء أن الأثرياء لصوص نهبوا خيراتهم، ففي اعتقاد كمال أن كل فتيات الطبقات الثرية سيئات السلوك، وأن كل الأغنياء يعيشون صراعا بين رغباتهم الدونية ومظهرهم الاجتماعي. وفي المقابل تتيقّن سوزي (الفنانة شيرين رضا) التي تنظم حفلا نسائيا موازيا للحفلة الأصلية بأن كل من يزاول مهنة التدليك "المساج" لديه استعداد فطري لممارسة الجنس.

السيناريست محمد حفظي لم يسلم من فخ التعميم بتقديم غالبية أبطاله في أدوار سلبية وصورة شديدة البوهيمية

ولم يسلم المؤلف من فخّ التعميم بتقديم غالبية أبطاله في أدوار سلبية وصورة شديدة البوهيمية والاستعداد للخيانة حتى أن إحدى الفتيات تعتب على صديقتها استمرارها في صداقة شاب شهرين كاملين دون أن يجربا المعاشرة الجنسية، متهكمة عليها بالقول "شكله مفكر أنك فرجن" (هل يعتقد أنك لا تزالين عذراء).

انتقادات متعددة الوجوه

يحاول "رأس السنة" توجيه نقد عنيف لمن يحكمون على البشر من مظاهرهم الخارجية فقط بشخصية بوسي (الفنانة جيهان خليل) الفتاة الصغيرة التي تتزوّج رجلا في عمر والدها وترتدي ملابس مكشوفة طوال الوقت، لكنها في النهاية تحافظ على شرفها ولم تنجر للخطيئة، ووضعها في مواجهة مريم (الفنانة إنجي المقدم) الزوجة الأرستقراطية التي تنجر نحو الخيانة لمجرد حدوث تغيرات لزوجها بعد عودته من رحلة الحج وميله نحو التديّن برفضه إغداق الهدايا باهظة الثمن على الابن حتى لا يتعلم المظاهر "الكذابة" (الخادعة)، وممانعته ارتدائها الملابس المكشوفة كالمعتاد، وخشيتها أن يطلب منها ارتداء الحجاب مستقبلا.

ويحمل الفيلم الكثير من سمات الدراما برتابة أحداثها ومللها أحيانا، فالصراع الحقيقي لم يبدأ إلا بعد مرور 30 دقيقة، والباقي انحسر كثيرا في مشاهد رقص عارية بجوار حمامات سباحة أو استعراض مكرّر للانحلال الأخلاقي لمجتمع الشباب المقصود، مع وجود بعض الشخصيات غير المؤثرة في الأحداث التي تم الزجّ بها ربما للإطالة فقط، مثل عم شعبان (الفنان إبراهيم فرج) الذي يلعب دور خادم بأحد القصور، أو عم محمود المسؤول عن توزيع حارسي السيارات في نطاق حفلة رأس السنة.

ولا يخلو العمل من جوانب فلسفية تتعلق بمحاولة الإنسان تزييف حقيقة وضعه بتغيير المسميات فقط، فكمال لا يرى نفسه تاجرا للمخدرات لكنه وسيط بين طبقتي الأثرياء والفقراء التي يجب أن تظل أبواب الاتصال بينهما مقفولة وقاصرة على الوسطاء صونا للتعايش الاجتماعي ومنعا لإزكاء نار العنف الطبقي، والتأكيد على أن الظروف قد تدفع بالإنسان إلى الضعف والجريمة.

فيلم «رأس السنة» رغم ضمه مجموعة كبيرة من الفنانات، مثل بسمة وإنجي المقدم وشيرين رضا، لم ينجح في جذب جمهور الشباب

الشارقة الدولي لفيلم الطفل يعرض «حكايا اللاجئين» أونلاين

يحتلّ الطفل مكانة هامة صلب استراتيجيات المؤسسات الثقافية والفنية العربية، التي تعمل على رسم ملامح هويته وربط الخيوط المعرفية والاجتماعية والنفسية التي اكتسبها في مدرسته الأولى، العائلة. وتمثل السينما وسيلة مهمة تراهن عليها المجتمعات لتغذية عقل الطفل واكتشاف مهاراته الإبداعية.

الشارقة – رهانا على قدرات الأطفال خصّص مهرجان الشارقة الدولي لفيلم الطفل، خلال فترة التباعد الاجتماعي للحدّ من انتشار فايروس كورونا منصته الإلكترونية لعرض مجموعة من الأفلام القصيرة التي أخرجها أطفال عرب وأجانب، ليوزّعها في خانات متعددة كانت إحداها أفلام "حكايا اللاجئين".

ومن الأفلام القصيرة المعروضة في هذا المجال تحضر ثلاثة إنتاجات لأطفال مبدعين، أولها فيلم "منطقة آمنة" وفيلم "فتاة سودانية لاجئة تسعى لتحقيق حلمها في التعليم بمصر" وفيلم "فتى عراقي مخطوف يعود لعائلته في كندا".

ويحكي فيلم "منطقة آمنة" الذي أنتجه المخرج ماركو بولينجر في مخيم "سعد نايل" للاجئين السوريين في لبنان، ضمن ورش عمل حول رواية الحكايات والسرد القصصي عن طريق الفيديو، قصة فتيات لاجئات في سنّ المراهقة (أعمارهن بين 13 و15 سنة)، ونظرتهنّ للمستقبل وتصورهنّ لطموحاتهنّ وأحلامهنّ انطلاقا من الواقع الصعب الذي فرض عليهنّ العمل في حقول البطاطا والعنب كي يتمكنّ من العيش.

وتبدأ رحلة الفيلم عام 2015 وتنتهي في العام 2019، ومثلما بدأت بتصوّر للخمس سنوات القادمة تنتهي بتصوّر للمستقبل القريب، وبتحديد لمفاهيم كبرى في حياة الإنسان عامة، وهي الحب والدراسة والعمل والعائلة.

ويحاول الفيلم بعد مرور 4 سنوات الانتقال من توثيق الآثار السلبية التقليدية للجوء كالصدمات النفسية والمعاناة، لتناول هوية الجيل المقبل من الشابات السوريات اللاجئات، ونقاط القوة والرؤى التي تسلّحن بها خلال تجربتهنّ كلاجئات في المنفى.

وتعاونت الفتيات على إنجاز الفيلم كي يعرضن نظرتهنّ لظروف حياتهنّ، حيث يصوّرن معظم مشاهد الفيلم بأنفسهنّ، ويجرين مقابلات مع بعضهنّ ومع المخرج ماركو بولينجر، ويتساعدن في عملية الإخراج ليقدّمن صورة حقيقية عن واقع الحياة في المخيم.

أما فيلم "فتاة سودانية لاجئة تسعى لتحقيق حلمها في التعليم بمصر"، فيحكي لجمهور السينما من الأطفال حكاية الطفلة نوسة التي لجأت إلى مصر من السودان قبل ثلاثة أعوام، بعد وفاة والدها، صحبة أمها وتسعة إخوة، وهي لا تحلم سوى بفرصة إتمام تعليمها كي تعيل أسرتها وتساعد إخوتها على الدراسة والنجاح. لقيت اللاجئة فرصة الانضمام لمدرسة "كنيسة القلب المقدّس"، لتخطو خطوتها الأولى نحو تحقيق الحلم صحبة 400 طالب وطالبة، معظمهم أطفال لاجئون من السودان وجنوب السودان.

وهذه المدرسة هي واحدة من بين أربعين مدرسة أخرى للاجئين تنتشر في جميع أنحاء القاهرة، وتتلقى المساعدات من "خدمات الإغاثة الكاثوليكية"، وهي منظمة غير حكومية ذات نفع عام تحظى بدعم المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين.

أما فيلم "فتى عراقي مخطوف يعود لعائلته في كندا"، الذي يختزل عنوانه موضوعه، فيحكي قصة عماد، الطفل الإيزيدي الذي تمكن مؤخرا من الالتقاء بعائلته في كندا بعد اختطافه في العراق واحتجازه رهينة لمدة ثلاث سنوات ليقرّر نسيان الماضي والتركيز على المستقبل بما يسعى إليه من أهداف.

مهرجان الشارقة الدولي لفيلم الطفل يراهن على طاقات الطفولة في إنتاج أفلام سينمائية هادفة عبر «حكايا اللاجئين»

ويحكي الفيلم كيف اختطف الإرهابيون عماد وعائلته، وهم من الطائفة الإزيدية، في أغسطس عام 2014، وفصلوه عنها قسرا بعد بضعة أشهر، وكيف استطاعت أمه الهرب مع إخوته من قبضة الخاطفين، وأُعيد توطينهم في فبراير عام 2016 بكندا، دون أن يتمكنوا من معرفة مصير عماد.

وفي بداية يوليو 2017، عُثر على الطفل تحت ركام مبنى منهار في الموصل، حيث كانت حملة القوات العراقية في مراحلها الأخيرة من فرض سيطرتها على المدينة، واستطاع العاملون في المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين التأكّد من أنه واحد من ستة آلاف شخص إيزيدي خطفتهم الجماعات المتطرفة في أغسطس 2014، وتمكنوا من تحديد هويته ودعمه من خلال تسهيل إجراءات السفر ليعود إلى عائلته.

ويسلّط الفيلم الضوء على لحظة اللقاء الصعبة، وكيف اندمج الطفل مع محيطه الجديد خلال الأيام التالية للقائه بعائلته، فالطفل عماد قرّر بعقل الإنسان الناضج أن يقبل على الحياة خارج الأسر، وألا يتقوقع على نفسه بسبب الماضي الحزين، وكانت أولى قراراته أن اختار تعلم اللغة الكردية كي يتواصل مع أهله بعد أن أجبره الخاطفون على التحدث باللغة العربية فقط أثناء احتجازه، وعاد للعب مع إخوته وتعلم ما فاته من تقنيات التكنولوجيا الحديثة.

وتبدو هذه الأفلام الثلاثة لمن يطّلع عليها، رسالة أمل قبل أن تكون مبادرة ترفيهية في زمن كورونا، وظّف فيها المخرجون مهاراتهم ومعارفهم لينتجوا أعمالا سينمائية تناسب درجات وعي الأطفال الذين يشاركونهم مرحلة عمرية استثنائية بما تحمله من تقدّم تكنولوجي وأحداث سياسية واجتماعية وثقافية كبرى.

السينما صوت الأطفال للتعبير عن أوضاعهم وأحلامهم